

أ.د محمود العطيفي

أستاذ الجراحة العامة والمتجميل □ جامعة اسويط

احتوى القرآن الكريم على آيات عديدة تتعلق بالمحروق على وجه من وجوه الدلالة. فبعض الآيات يمكن أن يكون لها تعلق بدرجات المحروق، وبعضها يمكن أن يكون له تعلق بأسباب المحروق، كما يمكن أن يكون للبعض الآخر تعلق بأمثل المطرق للإسعافات الأولية لهذه المحروق.

درجات المحروق

يعتمد عمق المحروق في أغلب الأحيان على درجة حرارة المؤثر ووقت التعرض له. ولما يخفى على أحد شكل المحرق الذي ينتج عن النار أو الأشياء أو السوائل الساخنة، فهو إما مجرد إحمرار للجلد في الدرجة الأولى من المحرق أو فقائيع مائية تنفجر وينسلخ سطح الجلد ويصبح مبللاً بالسوائل التي تفقد من الجلد باستمرار وهذه صفة حروق الدرجة الثانية، أو يجف الجلد ليصبح مثل المشمع ويفقد الإحساس واللون الطبيعي ليصبح أبيض بدون دموية أو حيوية وربما أسود اللون، وهذا يحدث في حروق الدرجة الثالثة وهي الأكثر عمقاً.

وأحد الفروق بين حروق الدرجة الثانية والدرجة الثالثة هو اختبار نزع الشعر في منطقة المحرق حيث يظل الشعر مثبتاً بالجلد في حروق الدرجة الثانية ويصحب محاولة نزعه ألم شديد كما هو معتاد. أما في حروق الدرجة الثالثة فتتم عملية نزع الشعر بسهولة وبدون ألم لوصول المحرق إلى منطقة بصيلات الشعر. وقد جاءت هذه المعلومة في قوله تعالى (كَلَّا إِنَّهَا لَنَزَاعَةٌ لِّلشُّوٰى) (المعارج: 15، 16)

فالمشوى هي فروة الرأس .

أسباب الحروق:

وعندما نحاول سرد أسباب الحروق التي كتبت في كتب الطب نجد أنها إما عوامل طبيعية أو كيميائية ولما شيء غير ذلك. أما العوامل الطبيعية فهي إلى وقتنا هذا لم تعد المشحنات الكهربائية وتشمل أيضاً الإشعاعات بأنواعها. والصعقة الكهربائية تؤدي إلى حروق تسمى حروقا كهربائية. ثم تنتج حروق عن درجات الحرارة المقصوى من كلا الاتجاهين المنخفضة جداً ثم المرتفعة جداً، وتنقسم الأخيرة إلى ثلاثة أنواع: حروق ذارية وهي تمثل معظم أسباب الحروق التي نقابلها ثم الحروق السلقية أو التي تحدث من سوائل ساخنة أو مغلية وترتفع نسبة حدوثها في الأطفال ثم الحروق باللمس مثل المكواة.

بقي السبب الأخير ألا وهو الحروق التي تنتج من مواد كيميائية حارقة مثل القلويات الكاوية والأحماض الحارقة وبعض العناصر مثل المسفور وخلافه. وعندما نقرأ كتاب الله الكريم بعين العالم وعقل المفكر وقلب المؤمن نجد أن كل هذه الأسباب قد ذكرت في القرآن. ولنبدأ كما ذكرنا بالترتيب بالحروق الكهربائية نسبة حدوثها 2- 3% قد ذكرت في سورة الرعد بكلمة الصواعق (ويصيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يرجعون في الملأ وهو شديد المحال) (الرعد: 13).

إن أصعب الجروح هي المحرق وأصعب الحروق هي الحروق الكهربائية. وقد جاء هذا المعنى أيضاً في القرآن الكريم في سورة الطور. (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عندهم كيديهم شيئا ولأولئك الذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولن تكف عندهم لئاعهم ولا يغنونهم) (الطور: 45 - 47)

أي مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى يعذب المعاصين من عباده بدرجات متفاوتة كل حسب جرمه.

أما درجات الحرارة المنخفضة جداً فقد ذكرت في القرآن حيث كلمة صر هي المبرد الشديد.

(مَثَلٌ مِّمَّا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْمَحْيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَئِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران: 117)

والكل يعرض

(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (الأنبياء: 69)

فلو كانت برداً فقط لأضرت به.

ومما هو مؤكد أن درجات الحرارة المنخفضة جداً تؤدي إلى حرق الأنسجة التي تتعرض لها، ولكن يختلف هنا شكل الحرق عن الحروق النارية بدرجاتها فهذه الإصابة تترك الجزء المصاب بنفس الشكل الطبيعي ولكنه يفقد الحيوية والوظيفة والمقدرة على الحركة والتكاثر إلى أن يضمحل تدريجياً. وقد جاء هذا واضحاً في قوله تعالى في سورة الحاقة: (وَأَمْ عَادِ فَاهِلْ كُؤَا بَرِيحٍ صِرْصِرَ عَاتِيَةٍ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا بِرَحْمَةِ اللَّهِ فَخَالُوا فِيهَا) (الحاقة: 6، 7).

الحروق النارية

ثم تأتي درجات الحرارة المرتفعة بأنواعها وهي تمثل حوالى 95% من أسباب الحروق وأولها وأكثرها شيوعاً الحروق النارية. ولما يمكن سرد كل الآيات التي ذكر فيها هذا النوع من الحروق لكثرتها ولكن سوف نسرد فقط بعض الآيات التي يتضح منها عمق القرآن ودقته.

(فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة: 24).

ثم جاء نفس المعنى في سورة التحريم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم: 6).

درجة انصهار الحجارة تزيد عن الألف درجة مئوية ووجود الناس مع الحجارة في أتون واحد يشير إلى شدة العذاب.

في أكثر من مقام يشير الله سبحانه وتعالى إلى أشد العذاب وهو عذاب الحريق، وأن النار أعدت للكافرين وهذا يؤكد مقولتنا السابقة أن أشد الجروح هي الحروق. وقد جاء ذلك في سورة آل عمران.

(لَقَدْ سَمِعَ الْمَلَأُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الْمَلَأُ فُقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُمِبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْمَأْنَبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (آل عمران: 181).

ثم سورة الأنفال

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهُهُمُ وَأَدْبَارَهُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (الأنفال: 50).

ثم سورة الحج في أكثر من مكان

(ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الْمَلَأِ لَهُ فِي الْمَدْنِيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) (الحج: 9)

(كُلِّمُوا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (الحج: 22)

ومما هو معروف لدينا أنه إذا أردت تسخين قطعة من الحديد مثلاً فعليك أن تضعها في أسفل النار وليس في اللهب الأصفر العلوي. وضح هذا في قوله تعالى في سورة النساء: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْمَأْسُفِ لَمِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (النساء: 145).

وهذا معناه مرة أخرى أن العذاب درجات وأن المنافق من المصنفات السيئة التي تؤدي بصاحبها إلى درجة أعلى من العذاب لصفات سيئة أخرى.

يصيب الحرق أول ما يصيب جلد الإنسان الملية بالأعصاب الحسية التي تحمي الجسم من أي مؤثر خارجي قد يضر بالإنسان، فيتنبه ويبتعد عن المؤثر بمجرد وصول هذا الإحساس إلى مراكز هذه الأطراف والدليل على ذلك عند أخذ حقنة مثلاً. إحساس الإنسان بالألم عند إدخال الإبرة في الجلد ثم يختفي أو يضعف هذا الإحساس كلما دخلت الإبرة في الطبقات الداخلية بعد الجلد، ومن هذا يتضح أن عذاب الحريق أشد عذاب، ولهذا اختص الله به الكافرين من عباده. فقال تعالى في سورة النساء: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَالَّذِينَ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدُلْغَانِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا).

وهذه الآية تؤكد مرة أخرى على عمق الحروق من نار جهنم، ولكن قدرة الله عز وجل كانت جلية في تجديد جلودهم ليذوقوا العذاب.

وهذا تصوير دقيق لدرجات الحروق. فالدرجات السطحية التي تؤثر على طبقة البشرة والجزء السطحي من أدمة الجلد تؤدي إلى كشف الأطراف الحسية للجو الخارجي وبذلك يزداد الإحساس بالألم ولكن عندما تأتي النار على كل طبقات الجلد (أي النضوج) هنا تموت الأطراف الحسية ويقل الإحساس بالألم. ومعنى الآية استمرار الحرق مع تبديل الجلد المحروق بجلد يوجد به الإحساس المستمر ليستمر العذاب والإحساس بالألم.

وفي الحروق السلقية

قوله تعالى (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّ آَعْتَدْنَا لِّلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَكْفِرُوا يَغِيثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفِقًا) (المكهف: 29).

(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نَارُ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) (الحج: 19).

ومعظم الحروق السلقية تصيب الأطفال في مناطق (الوجه والرقيقة والمكتفين)، حيث تؤدي به غريزة حب الاستطلاع إلى محاولة أخذ ما فوق الموقد المشتعل لرؤية ما به، فينسكب ما بالإنداء على الوجه والمكتف والميد التي أمسكت بالإنداء.

حروق الممس

أما حروق الممس فجاءت في سورة التوبة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْمُحَابِرِ وَالْمُرْهَبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْمَالَهُ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ إِذْ يَعْلَمُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَمَا تَكَوَّىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم هذا مَا كَانُوا يَكْنِزُونَ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ

(التوبة: 34، 35)

المجبهة ليظهر التشويه أمام الناس كما أشاحوا بوجوههم عن الفقراء، والإحساس بالألم في المجنب أشد من مناطق أخرى بالجسم لأنهم لم يشعروا بحاجة الفقراء، والإحساس بالألم في المظهر كناية عن صعوبة الدفاع عن النفس في هذا المكان لأنهم لم يدفعوا حاجات الفقراء والمبائسين. (والله ورسوله أعلم).

الحروق الكيماوية

والمسبب الأخير هو الحروق الكيماوية.

فقال تعالى في سورة إبراهيم (سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرِانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) (إبراهيم: 50)

وتظهر هنا مرة أخرى دقة التعبير وبلاغة المعنى إذا علمت أن القطران مادة كيميائية عندما يكون ساخناً يلتصق بالجسم بحيث تصعب إزالته، وقد يؤدي الاستعجال في محاولة إزالته إلى ضرر أكثر من الضرر الذي يصيب الإنسان من القطران الساخن نفسه. وكلمة سراويلهم معناها ملابس ضيقة تلتصق بالجسم.

ثم نسرد الآن بعض الآيات التي تصف بعض أنواع من الحروق بدقة:

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَاذْكُرُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّوْنَا وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنعام: 27)

وتصور هذه الآية دراسة دقيقة للنفس البشرية التي تعرف عملية الثواب والعقاب جيداً ولكن غواية الشيطان تحسن له في الخطأ فيتمادى فيه ولما ينتبه إلما بعد فوات الأوان.

وقد يحدث هذا في الدنيا أيضاً فقد يقرر الإنسان ضعيف الإيمان المتخلص من حياته بالانتحار حرقاً (وهو حرام شرعاً) ويأخذ القرار بقوة واندفاع شديدين، ثم بعدما يشعر بالألم المحرق يجري مندفعاً نحو أقرب مكان يجد فيه من ينقذه أو يطفى ناره المشتعلة مع أن الجري يزيد النار اشتعالاً وتشدد الخطورة ويصعب العلاج.

حروق المرتئين والاستنشاق

(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) (هود: 106)

فقد اكتشف العلم الحديث منذ حوالي عشرين سنة تقريباً خطورة حروق الرئتين والتي تحدث من اشتعال النار في أماكن مغلقة، وعندئذ يستنشق الإنسان الأبخرة الساخنة التي تصيب الرئتين بحروق خطيرة قد تؤدي إلى الوفاة حتى لو لم يكن المحرق الخارجي متسعاً وخطيراً. وهذه الحروق تحتاج إلى رعاية مركزية أثناء العلاج وجهاز تنفس صناعي إلى أن تتحسن الحالة. وقد سبق الزفير المشهيق لتأكيد العقاب وعدم الهرب منه، حيث إنه بعد المزفير الشديد لا يستطيع الإنسان إلا أن يشهق أي هواء موجود في الجو المحيط به لاحتياجه الشديد لهذا الهواء، فإذا كان الجو المحيط هو النار فهو عندئذ مضطر إلى استنشاق الأبخرة الساخنة التي تصيب الرئتين بالحروق الشديدة في عملية المشهيق الإيجابية التي تعقب المزفير.

تبدأ الدورة الطبيعية للتنفس بالمشهيق وتنتهي بالمزفير، وتنعكس الدورة في حالات المضغوط الشديدة والمحرق من أهم هذه المضغوط.

مضاعفات الحروق

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (فاطر: 36))

ألم المحرق من المشدة بمكان قد يصيب الإنسان بصدمة عصبية فيموت أو شدة المحرق أيضاً تفقد الإنسان حياته.

فنسبة الوفيات من الحروق الجسمية التي تزيد عن 40% من سطح الجسم عالية جداً وهذه الآية من سورة فاطر أكبر دليل على ذلك ثم قال تعالى في سورة المؤمنون: (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا يَصْخَرُونَ) (المؤمنون: 103، 104).

وكل من يرى حروقاً عميقة بالدوجه وآثارها يعرف معنى كلمة كالحون (الشفاه مشوهة والمتصقت بالذقن) وهذا كثيراً ما نراه حيث إننا نعالج هذه الحالات بإجراء عمليات ترقيع لهم، مع العلم أن هذه الحالة لا تحدث إلا بسبب الحرق.

الإسعافات الأولية:

دأب الناس قديماً على استعمال أشياء توضع على الحرق لتسكين الألم وكلها خطأ وتؤدي إلى الضرر ومنها الزيت والبيض ومعجون الأسنان وأحياناً الكيروسين. وبدأ العلماء حديثاً في محاولة لمنع الناس من استعمال هذه المواد المضارة أو على الأقل المتي لنا فائدة منها.

وينصح العلم الحديث بأن أحسن شيء يوضع على الحرق لتخفيف الألم الشديد هو الماء الجاري. وقد ذكر الله تعالى هذا بوضوح شديد في سورة الأعراف: (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ عَلَي الْمُنَافِرِينَ) (الأعراف: 50).

وعندما نتأمل في وظيفة الجلد نجد أن من أهمها الحماية مثلاً ضد فقدان سوائل الجسم وأول شيء يشكو منه المصاب بالحرق هو الألم الذي يجف بصب الماء ثم بعد ذلك يشكو من ظاهرة العطش والمقصود بكلمة مما رزقكم الله هي المأكل والمشرب حيث يحتاج مصاب الحروق إلى كميات من الغذاء والسوائل أكبر بكثير من احتياج الإنسان العادي لفقد كميات كبيرة من خلال الجلد المحروق.

وَقَبِلَ أَنْ اخْتَمَ حَدِيثِي أَحِبَّ أَنْ اطْمَئِنَّ الْقَارِئُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَخْشَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَيَّةٍ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحَّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: 185)

وهذا يدل مرة أخرى على أن النار هي أهم وأول وسيلة عقاب للكافرين في الآخرة بسبب كفرهم وأن أكبر جائزة للمؤمن هي بعده عن النار وأن يدخل الجنة.

وفي النهاية هي معلومات عامة عن الحروق قد ذكرها الله في كتابه العزيز ولكننا للأسف الشديد تعلمناها من الكتب الدنيوية الحديثة ولم نستطع اكتشافها من كتابنا ودستورنا الذي بين أيدينا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان وكان من الأولى بنا ذلك، ولهذا أحب أختي حديثي بقوله تعالى في آخر سورة البقرة: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وِجْدَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا لِمَا حَمَلْتَهُ عَلَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَنَا طَاقَةٌ لَنَا بِهِ وَعَنْ عُنَا وَغَيْرَ لَنَا وَإِرحمنا أنت مولانا فانصرونا على القوم المكافرين) (البقرة: 286).